نظرية الأئمة الاثني عشر في ضوء الفكر الإسلامي

The Concept of twelve Imams in the light of Islamic Theology

الدكتور محمد إلياس *

ABSTRACT

Allah swt has created the humankind on the nature of socialism, this means that he likes to live in community and their needs are related to each other that no one can survive properly unless with the aid of others and all that happens when they have unity and discipline. Therefore, Islam also emphasize on the importance of unity what we called as "wahdat ul Ummah". For this purpose Islam gave us the concept of Imam, the leader, who lead the Muslims in the proper direction and solve their problems and that would be in different manners, like implementation of the Islamic rules, judging them with justice so that everybody could possibly have equal rights, defending the boundaries of Islamic state, enjoin good and forbid evil, insurance of life and property, etc. Therefore, without the Imam, that's not possible, that's why it is mentioned numerous times in Holy Quran and the Hadith.

But after all discussion this matter became a political matter in Islam especially when this debate comes between the two sects of Muslims, "Ahl ul Sunnah" and "Shi'a", with the hadith of Jabir bin Samurah at the incident of confliction of khilafa after the death of the Holy Prophet (ﷺ), when he said that there will be twelve imam, and all are from the tribe of Quresh. So in this whole debate I tried to elaborate and solve this distressing issue..

Key wards: *Humankind, Socialism,Unity, Implementation* .

* الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين) الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

إن العالم الإنساني والحيواني يستأنس بالائتلاف والاجتماع، ويستوحش بالوَحدة والفرقة والاختلاف، لهذا السبب فإن البشرية الجمعاء منذ فجر التاريخ تحبّ أن تعيش جماعة، وترغب أن تسكن جواراً، كما تحبّ أن تتخذ لمجموعاتها قادة مهما صغرت المجموعات أو كبرت، بل اتخاذ القادة ونصب راية الرئاسة وإسناد زمام الحكم إلى معيّن قد وُجد حتى وفي العالم الحيواني، يُرى ذلك جلياً بادياً في عالَم النحل، وهذا قانون سماوي فُطِر عليها الإنسان، وعليه تتألف المجتمعات البشرية، ويستقيم أمرهم، فإن كان الأمر كذلك فلا غرابة في اهتمام الإسلام بالإمامة والرئاسة، والأمر بإطاعته، يقول الرب عزوجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ}[١]، وتفسير هذا المعنى في قوله عليه الصلاة والسلام قال: (اسمعوا وأطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)[٢]، فمن هذين الدليلين وغيرهما، يتبيّن مدى اهتمام الإسلام بأمر الإمامة، المقصد والسبب في ذلك أن من كان يدير المجتمع من إمام أو قائد أو رئيس إذا كان مؤهلاً لهذا يوصلهم إلى التقدّم والخلاص من المشاكل، وإن كان عكس ذلك، يرديهم إلى الهلاك والدمار والانهيار، فلأهمية الإمامة والقيادة فقد وقعت الخلافات والتنازع ودارت المعارك بين الناس من أجلها.

وأوّل اختلاف وقع فور وفات الحبيب صلواة ربي وسلامه عليه هو اختيار الإمام، فلمّا عرف الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الحق والصواب، استسلموا لذلك وانقادوا له، لكونهم الفئة المختارة، وسمتهم اتباع الحق، ثم استمر الأمر على ذلك حتى تفرّقت وحدة المسلمين وتشعبت أفكارهم فيما بينهم، إلى أن اختلفوا في تعيين الإمامة والقول في استحقاقها.

ومن مبدأ الخلاف في هذه المسألة هو حديث جابر بن سمرة رضوان الله عليه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (يكون بعدي اثنا عشر أميراً)، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: أنه قال: (كلهم من قريش)[٣].

والإمامة قضية مهمة ومسؤولية عظمى، وقد أوجبت على أهل الإسلام بعد موت الحبيب صلواة ربي وسلامه عليه، وتلو تجمع السقيفة واتفاقهم على خلافة سيدنا أبي بكر رضوان الله عليه، لم

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) البخاري، الجامع الصحح، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، التحقيق: محب الدين الخطيب، الترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، المراجعة: قصي محب الدين الخطيب، دار النشر: المطبعة السلفية، القاهرة مصر، ط: الأولى ١٤٠٠هـ، كتاب الأذان، باب إمامة العبد والمولى، برقم: ٦٩٣.

(٣) البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، برقم: ٧٢٢٢.

تختف بعد هذا الاختلاف، بل زاد في تعقيدها بين المسلمين حتى يومنا الحاضر، فقد نهضت نظرية الخلافة والإمارة على أنقاض نظرية الإمامة في اجتهاد لتكون في منزلتها وتحظى مثيلة لها، إلا أن نظرية الإمامة ما برحت باقية، وتدعى بها أفكار شتى دون نطاق أهل السنة والجماعة.

والمسلمون منقسمون إلى فئتين عموماً أهل السنة والشيعة، فاختلفت أقوالهم في تعيين هؤلاء الأئمة الاثني عشر، ومن هذا المنطلق حاولتُ أن أبحث في هذه المسألة مسألة الأئمة الاثني عشر لوجود نصوص صريحة وصحيحة في المسألة عند الفريقين، فسأذكر هنا بإذن الله تعالى مفهوم الإمام عند أهل السنة والشيعة، والنصوص الواردة في حصر تعداد الأئمة في الاثني عشر عند أهل السنة والشيعة، والمراد بالأئمة الاثني عشر عند أهل السنة والشيعة، وأيضاً عقيدة أهل السنة والشيعة في الإمام المهدي المنتظر.

١. مفهوم الإمامة عند أهل السنة والشيعة

الإمامة مصدر من الفعل (أَمَّ) وهو القصد، جمع إمام قال الفيروز أبادي : (أَمَّه: قصده، كأمّه، وأمّه، ويممه، وتيممه... والإمامة والائتمام بالإمام) [١]

وتطلق الإمامة في الاصطلاح على ثلاثة معان وهي: ١ -الإمامة الكبرى، وهي الخلافة.٢- الإمامة الصغرى، وهي إمامة الصلاة. ٣-العالم الذي تفوق على غيره في اختصاصه[٢].فالمراد بها هنا الاولى،الذى عرفها الامام الماوردى بقوله " الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[٣].

وعند الشيعة: " الإمامة رياسة عامّة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم) [٤].

(١) القاموس المحيط للفيروز آبادي (٧٨/٤)

(٢) بتصرف: فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ، ١١٢/١٣.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ، ص: ٥.

(٤) بتصرف: أعيان الشيعة، لمحسن العاملي، الناشر: مطبعة ابن زيدون، دمشق، سوريا، ط: الأولى ١٣٥٣هـ، ٥٣/١.

الإمام في القرآن:

اولاً: ورد"امام" بصيغة المفرد في سبع آيات بمعان تالية:

١ – السجل الذي يحيط باعمال الانسان ويحتويها [١].

٢ – الكتاب المنسوب الى شخص، والذي يحتل موقع الارشاد والهداية[٢].

٣ – عامة المجتمع[٣].

٤ – وجاءت مرة واحدة مقرونة بالمتقين[٤].

وورد بصيغة الجمع (الائمة) في خمس آيات، وتحت عنوانين هما: ائمة هدى[٥]، وائمة كفر، [٦].

(أ) اما قوله تعالى:{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِم}[٧]، فقداختلف أهل التفسير في معنى الإمام فقال بعضهم: هو نبيه، ومن كان يقتدى به في الدنيا ويأتم به، وعن مجاهد وقتادة قالا: المراد منه "نبيهم"، وقال آخرون: أنه يدعوهم بكتب أعمالهم التي عملوها في الدنيا، منهم الحسن، وقال آخرون: بل المعنى بكتابهم الذي أنزلت عليهم بأمري ونهيي، ثم قال: وأولى هذه الأقوال هو: بإمائمتهم الذين يقتدون بهم، ويأتمون به في هذه الدنيا، لكون معظم استخدام العرب الإمام في دائرة من ائتم واقتدى"[٨]. وقال

---

(١) في قوله تعالى: (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ (الحجر٧٩) ،و في قوله تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (يس١٢)

(٢) في قوله تعالى: (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً (هود١٧) ، و في قوله تعالى: (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً(الاحقاف١٢)

(٣) في قوله تعالى: (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا(البقرة)١٢٤، و في قوله تعالى: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ(الاسراء٧١)

(٤) في قوله تعالى: (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا(الفرقان ٧٤)

(٥) في قوله تعالى: أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (سورة الأنبياء٧٣) {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ، (سورة السجدة ٢٤) ،{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} (سورة القصص٥)

(٦) في قوله تعالى: {وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ } (سورة التوبة١٢)

(٧) الاسراء:٧١

(٨) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لجرير الطبري، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار النشر: دار هجر للنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة مصر، ٦/١٥، وما بعدها.

السمرقندي في تفسيره: "أن المراد منه اذكر يوم ندعو كل أناس بكتابهم، ويقال بداعيهم الذي ناداهم في الحياة الدنيوية إلى ضلالة أو رشد يدعى إمامهم قبلهم، وقال أبو العالية : بإمامهم أي بأعمالهم، وقال مجاهد : بنبيهم، وقال الحسن : بكتابهم الذي فيه أعمالهم"(١).

(ب) وقوله عزوجل : { ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}(٢)، قال الخازن: "أن المراد بالإمام هنا الذي يقتدى به في الخير ويأتمون بسنته وهديه، والإمام هو الذي يؤتم به"(٣). وذكر الطبري في تفسيره أن: "المراد بأني جاعلك للناس إماماً، أي ليؤتم به ويقتدى به، ويقال: إنما نوى الله بكلامه لإبراهيم: "إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"، بأن عاقبتك ومآلك أن تؤم من يأتي خلفك من المؤمنين بي وبأنبيائي، تفرطهم أنت، ويقتدون نهجك، ويهتدون هديك الذي تسير عليه، بأمري إياك ووحيي إليك"(٤).

(ج) وقوله تعالى: {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ}(٥)، قال الطبري: "(لبإمام) يقول: لبطريق يأتمون به في سفرهم ويهتدون به، ثم قال: وإنما جعل الطريق إماماً لأنه يؤم ويتبع"(٦)، وذكر أبو حيان أيضاً نفس المعنى(٧).

(د) وقوله تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}(٨)، قال ابن كثير: "يعني كل الموجودات مسطور في سجل محرّر في اللوح، والإمام المبين هنا أم الكتاب، قال به الإمام مجاهد، والإمام قتادة والإمام عبدالرحمن بن زيد"(٩). وقال ابن عاشور في تعريف الإمام: "هو ما يؤم به في الاقتداء ويُعمل على

---

(١) بحر العلوم للإمام أبي الليث نصر بن إبراهيم السمرقندي، التحقيق: د محمود مطرجي، الناشر: دار الفكر، لبنان، ١٩/٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٣) تفسير الخازن، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي، دار الكتب العربية الكبرى، مصر، ٩٢/١.

(٤) تفسير الطبري، ١٨/٢.

(٥) سورة الحجر، رقم الآية: ٧٩.

(٦) تفسير الطبري، ١٢٥/١٧.

(٧) البحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ٣٧٧/٥.

(٨) سورة يس، رقم الآية: ١٢.

(٩) بتصرف: تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الطبعة الثانية ١٩٩٩م، ٥٦٨/٦.

حسب ما يدل عليه، وقال النابغة: أطلق الإمام على الكتاب لأن الكتاب يتبع ما فيه من الأخبار والشروط"[١]. وقال الشنقيطي: "أي في كتاب بيّن واضح"[٢].

الإمام في الأحاديث النبوية: هناك كثير من الروايات ذُكر فيها لفظ الإمام، ولكثرة الأحاديث في ذلك يظهر اهتمام الشريعة بالإمام، منها:

(أ) قوله ﷺ (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل)[٣].

(ب) وقوله صلى الله عليه وسلم (إنما جعل الإمام ليؤتم به)[٤].

(ج) وقوله عليه الصلاة والسلام (وإن أُمِّر عليكم عبدٌ مجدعٌ يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا)[٥].

(د) وقوله عليه الصلاة والسلام (يكون بعدي اثنا عشر أميرا، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: أنه قال: كلهم من قريش)[٦].

من مقاصد الإمامة: إنّ نظام الحكم في الإسلام من أهمّ الأنظمة التي أرسى دينُنا قواعدَه، وكان لعهد النبوة والخلافة الراشدة أروع وأنقى مثال في تطبيق معاني الإسلام بشكل عام ونظام الحكم على وجه الخصوص، والقيادة في الشريعة الإسلامية مسؤولية وتبعات وأحمال وليست منصب العزة والفخر، أو حكماً لتسلّط على الناس تجبّراً، بل لها حقوق وعليها واجبات، والواجب الأكبر على الحاكم أو الإمام المسلم يتمثّل في القيام على المنصب بأكمل وجه وولاية الأمر فى الدولة الإسلامية ما هي إلا حفظ الدين وسياسة الدنيا وتنظيم الأمور فيه. ويقول الدكتور الدميجي في مقاصد الإمامة أن عند أهل السنة كما هو واضح من خلال تعريفهم للإمامة تتمثل في مقصدين رئيسين عظيمين، هما: إقامة الدين، وسياسة الدنيا به[٧]:

---

(١) التحرير والتنوير للشيخ ابن عاشور، الناشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، ط: ١٩٩٧م، ٢٠٥/٢٢.

(٢) أضواء البيان في إيضان القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، التحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: ١٩٩٥م، (٢٩٠/٦).

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، برقم: ٦٦٠.

(٤) المرجع السابق، كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، برقم: ٦٨٨.

(٥) ابن ماجه في السنن للحافظ محمد بن يزيد القزويني، دار رسالة عالمية، بيروت لبنان، كتاب الجهاد، باب طاعة الإمام، برقم: ٢٨٦١.

(٦) البخاري، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف، برقم: 7222.

(٧) الإمامة العظمى عند أهل السنة، للدكتور عبدالله بن عمر، دار طيبة للنشر، الرياض، ١٤٠٩هـ، ٨٠.

فالأمور التي تتعلق بالدِّين، وهي: القيام بشرائع الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبليغ العلم.

وأمّا ما يتعلق بأمور الدنيا، فهي: إقامة العدل وفق أحكام الشرع، والحفاظ على الأمن العام بين الشعب، والدفاع عن الدولة والدين عن الأعداء الإسلام، وتوجيه السياسة المالية وفق ضوابط الشرع.

وبدون الإمام لا يتحقّق كلّ هذه الأمور، وتكون الأمّة كالفرس دون اللجام، ولا يمكن لأحد أن يجتمع تحت راية الإسلام كالبنيان الواحد، ويتسبب الانتشار بين المسلمين.

المراد بأهل السنة والجماعة: أهل السنة والجماعة هم المسلمون ولوجود بعض الفرق في المسلمين فلا بد من تعريفهم، ومعرفة أبرز سماتهم وصفاتهم.

فالمراد بـ(أهل السنة): "القائلون بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن استحقاق"(١).

نشأة مصطلح أهل السنة: "ونشأ مصطلح أهل السنة والجماعة استناداً إلى الأحاديث والآثار الداعية إلى الارتباط بالجماعة، والتمسك بالسنة، والمحذرة من الفرقة والاختلاف في الدين والابتداع فيه"(٢).

وقد فصّل ابن تيمية إطلاق (أهل السنة والجماعة) ، فقال: "ومصطلح أهل السنة له إطلاقان اثنان، عام وخاص: أما الإطلاق العام: فالمراد به ما يكون في مقابل الشيعة، فتدخل جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام ما عدا الشيعة في مفهوم أهل السنة، وعليه يصح تقسيم المسلمين إلى سنة وشيعة، وأما الإطلاق الخاص: فالمراد به ما يواجه أهل البدع والخرافات، والمقالات المحدثة، كالشيعة والخوارج والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة والأشاعرة، وغيرهم من أهل البدع، فهؤلاء لا يدخلون في مفهوم أهل السنة بالإطلاق الخاص(٣).

ومما سبق من كلام أهل العلم يتبيّن أن أهل السنة والجماعة هم المهتمون بالسنة، والذين يأخذونها على عقيدة ومنهج الصحابة رضي الله عنه، وهم المخالفون لأهل البدع والخرافات.

المراد بالشيعة لغة: "الأعوان والأنصار، والأحزاب، والأتباع"(٤).

---

(١) المعجم الوسيط، باب السين، ٤٥٦.

(٢) ابن تيمية والتصوّف، للدكتور مصطفى حلمي، الناشر: دار الدعوة، مصر، ط: ١٩٨٣م، ٨.

(٣) بتصرف بسيط: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، لعثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ٢٨/١.

(٤) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، دار الفكر، بيروت لبنان، ط: ١٩٧٩م، ٢٣٥/٣.

واصطلاحاً: هذا الاسم علم لفرقة مخصوصة، فقد صار هذا الاسم علما على كل من يتولى سيدنا عليا وأهل بيته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وصار اسما خاصا لهم، يقول أبو الحسن: إنما سموا الشيعة لكونهم شايعوا عليا رضوان الله عليه، وتقديمه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم،(١)، ويقول الشهرستاني: فالشيعة الذين شايعوا عليا على الأخص، وادعوا خلافته وإماته بالنص والوصية، إما وضوحا أو إشارة، كما اعتقدوا بعدم خروج الإمامة من أولادهم، وإن خرجت فبظلم وجور أو بسبب التقية من الإمام، كما يتفقون في وجوب التعيين والتنصيص، كما أنهم يثبتون العصمة للأنبياء والأئمة عن الكبائر والصغائر(٢). وقال ابن عيسى: "أن الشيعة الإمامية الاثني عشر الذين تمسكوا بحق الإمام علي في توريث الخلافة سوى الشيخين وعثمان رضوان الله عليهم، بقالوا باثني عشر إماما دخل آخر أئمتهم في كهف السرداب بأرض سامراء حسب اعتقادهم، وهم الفريق المقابل لأهل السنة والجماعة في ذكرهم وآرائهم(٣).

وفيما سبق من تعريفات العلماء يتبيّن أن الشيعة هم القائلون بأحقية علي رضي الله عنه في الخلافة خاصة من الشيخين رضي الله عنهما، والمخالفون للمسلمين في هذه المسألة أهل السنة والجماعة.

٢. النصوص الواردة في حصر الأئمة باثني عشر عند أهل السنة والجماعة والشيعة

النصوص عند أهل السنة: قد وردت الروايات في مصادر أهل السنة والجماعة المعتبرة تحصر تعداد الأئمة بأنهم الاثنا عشر، منها:

(أ) قوله صلى الله عليه وسلم: (يكون اثنا عشر أميراً)، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي إنه قال:(كلهم من قريش)(٤).

(ب) وفى رواية عند مسلم (لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة) (٥).

---

(١) بتصرف: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٦٥/١.

(٢) بتصرف: الملل والنحل للإمام الشهرستاني، ١٤٦/١.

(٣) بتصرف: كشف الغمة في معرفة الأئمة، لعي بن عيسى، المطبعة العلمية، قم، إيران، 270/٢ .

(٤) البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، برقم: 7222.

(٥) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش، برقم: ٣٣٩٦.

(ج)) وفى رواية عند سنن أبي داود: (لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم تجتمع عليهم الأمة)[١].

(د)) وعند الإمام أحمد: (إن هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناوأه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضى من أمتي اثنا عشر خليفة)[٢].

لماذا لم يفهم سيدنا جابر رضي الله عنه الكلمة وخفيت عليه؟ الإجابة جلية وواضحة في رواية أبي داؤد، جاء فيها: قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة)، قال: فكبّر الناس وضجّوا، ثم قال كلمة خفية، قلت لأبي: يا أبت ما قال؟ قال: (كلهم من قريش)[٣].

فتبيّن أن سبب خفاء الكلمة هو كان بسبب تكبير الناس وضجهم لما سمعوا هذه البشارة من النبي صلوات ربي وسلامه عليه.

فهذه المجموعة من النصوص تخبرنا بأن الأئمة يكون عددهم اثني عشر، وهي التي تمسك بها الشيعة الاثنا عشرة في تأييد مذهبهم بالقول أن الأئمة محصورون في اثني عشر، وهم المعصومون، والحكام والخلفاء الحقيقيون.

النصوص عند الشيعة: لقد اهتم الشيعة بالإمامة الاثني عشر اهتماماً بالغاً، حتى جعلوها الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، بل ساوى بينها وبين النبوّة.

(أ) ما روى الإمام الكليني بسنده قوله عليه الصلاة والسلام (إني واثني عشر إماماً من ولدي وأنت يا علي زرّ الأرض، يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيح بأهلها، فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا)[٤].

---

(١) سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط ١٩٩٧م، كتاب المهدي، برقم: ٣٧٣١، وفي رواية لأبي داود: (فلما رجع إلى منزله، أتته قريش، فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج) المرجع السابق ،برقم: ٥١٧٨.

(٢) المسند للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، ٨٧/٥.

(٣) الإمام أبو داؤد، كتاب المهدي، برقم: ٤٢٨٠.

(٤) أصول الكافي، لمحمد بن يعقوب الكليني، التصحيح والتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ط: الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ، ٥٣٤/١.

(ب) وجاء عن جعفر الصادق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الأئمة بعدي اثنا عشر، أوّلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وآخرهم القائم، فهم خلفائي وأوصيائي وأوصيائي وحجج الله على أمتي بعدي)[١].

(ج) وعن أبي جعفر عن سيدنا جابر، قال: "دخلت على فاطمة وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر"[٢].

(د) وعند آل كاشف العطا، حين يخبر عن الإمامة فقال: "منصب إلهي كالنبوة"[٣].

(هـ) وعند باقر المجلسي: ولا تدري جهة لعدم اتصافهم بالنبوة ألا اهتمام آخر الأنبياء، ولا يلج عقولنا تمييز بين النبوة والإمامة[٤].

(و) ويقرّر المفيدُ عقيدةَ الشيعة في مسألة الإمامة قائلاً: توافقت الطائفة الإمامية على أن من أنكر إمامة الأئمة، وأنكر ما فرض الله عز وجل عليه من فرض طاعته، فهذا كافر ضال يستحق الخلود في جهنم[٥].

حصر الإمامة في أولاد الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم: وجاء في كتاب الأحكام: "أن الإمامة من بعد الحسن والحسين من ذريتهما من سار بسيرتهما..... ثم قال: فمن كان كذلك من ذرية الحسن والحسين، فهو الإمام المفترض طاعته، الواجبة على الأمة نصرته، مثل من قام من ذريتهما من الأئمة الطاهرين الصابرين لله المحتسبين"[٦].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، للصدوق، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، بازار سلطاني، إيران، مطبعة جاب مهر ستوار، قم، إيران، ط: الطبعة الخامسة، ١٣٢/٤.

(٢) أصول الكافي، ٥٣٢/١.

(٣) أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، رسالة علمية المقدمة لنيل درجة الدكتوراه قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ٥٨.

(٤) بحار الأنوار ٨٢/٢٦. لمحمد باقر المجلسي، الناشر: إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط: الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.

(٥) بتصرف: مقدمة البرهان، للعاملي، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، ٢٠.

(٦) الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسألتي الإمامة والصحابة، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، مكة المكرمة، السعودية، المقدّم: أحمد بن سعيد بن مسفر القحطاني، الإشراف: أ.د/ أحمد السيد رمضان، السنة الدراسية: ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ٧١، وعزاه إلى: المجموعة الفاخرة، كتاب العدل والتوحيد، ٨٧.

تضارب الأقوال عند الشيعة في تعداد الأئمة: ثم إنهم ذهبوا إلى اتجاهات مختلفة وتباعدت فرقهم في هذا العدد.

جاء في مختصر التحفة: يجب أن يُعلم أن الإمامية هم القائلون بحصر عدد الأئمة، ولكن أقوالهم في ذلك مختلفة، فيعتقد خمسة، وعند غيرهم سبعة، وبعضهم ثمانية، وغيرهم اثنا عشر، وعند البعض ثلاثة عشر(١).

ويعلّق الدكتور القفاري على قول تعداد الأئمة عند الشيعة قائلاً: وأقوالهم في تعداد الأئمة كثيرة، وأعتقد إذا بدأت أنقل اتجاهاتهم في هذا الشأن من كتب القوم، لترك القارئ دراسته بسبب الملل لكثرة اختلافاتهم الذي يمضي على نمط واحد، فإثر وفاة كل إمام تنشأ فرق متعددة(٢).

أول من حصر الأئمة في عدد الاثني عشر: حصر الأئمة في عدد الاثني عشر قد وقع بالضبط: "بعد وفات الحسن العسكري المتوفى ٢٦٠هـ، ولم يعرف أحد في زمن سيدنا على ولا في دولة بني أمية من ادعى إمامة الاثني عشر(٣)، أما عند صاحب مختصر التحفة في الاثني عشر: "بأن زمن ظهور الإمامية الاثني العشرية سنة ٢٥٥هـ"(٤).

فهذه النصوص من مصادر أهل السنة والشيعة، تدل على حصر الأئمة في عدد الاثني عشر عند كليهما، ولكن شتان في حمل المعنى والمفهوم بين الفريقين.

٣. المقصود بالأئمة الاثني عشر عند أهل السنة وعند الشيعة

الأئمة الاثني عشر عند أهل السنة: إن فكرة الإمامة لدى أهل السنة فكرة غير معينة في شخصية محددة، فيمكن أن يراد بها الأمير العام ويمكن أن يطلق على العالم الفقيه و ومن يؤم الناس، وكما يطلق على العلماء.

فالإمام أو الحاكم أو الخليفة أو لقب أمير المؤمنين إطلاقات ثلاثة تطلق على الحاكم عند أهل السنة، وليس هناك أي بعد شرعي يعطي تميزا خاصا للإمام عندهم، فإذا هو كأفراد المجتمعة أو الرعية، قد سلمته الظروف إلى الحكم باصطفائه من قبل أهل الرأي والشأن أو الوراثة أو بطريق القوة والسيف،

---

(١) بتصرف: مختصر التحفة الإثني عشرية، (الأصل بالفارسية) لشاه عبد العزيز، التحقيق: محمب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية، ط: الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ، ١٩٣.

(٢) بتصرف: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٦٦٦.

(٣) منهاج السنة، ٢٠٩/٤.

(٤) مختصر التحفة ٢١.

فيصير إمام العامة، ويلزم على المسلمين أن يدينوا له بالسمع والطاعة حتى ولو كان فاجرا فاسقا ظالما إذا أمر بالمعروف[١].

وإذا قرّر أن الإمامة حتماً أن تقرّر، وواجب على المسلمين أن تعيّن، فكيف يكون نصب الإمام وتعيينه؟ يقول ابن تيمية في ذلك: "أما تعيين الإمام عند أهل السنة هي من قبيل الشورى لا من قبيل النص، وهذا قول جمهور أهل السنة إلا بعض منهم ذكروا أن الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه حدّد نصّاً"[٢].

أما قضية الأئمة الاثني عشر، فاختلف علماء أهل السنة في تعيين الاثني عشر خليفة المذكور في الأحاديث، كحديث رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه، يقول: (يكون بعدي اثنا عشر أميراً) فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: أنه قال: (كلّهم من قريش)[٣].

قال الحافظ ابن حجر: وربما يكون المراد بأن هذا العدد أي اثني عشر أثناء قوة الخلافة عزة الإسلام واستقامة أموره، والتجمع على من يدير الخلافة، وهذا قد حصل إلى أن زلزل وتوتر أمر بني أمية، وتسربت بينهم الفتنة في خلافة الوليد بن يزيد، وهذا العدد موجود صحيح إذا اعتبر، الله أعلم[٤].

وما المعنى أن الأئمة الاثنا عشر، وهل يحصر في هذا العدد؟ ولا يسمى من يأتي بعدهم أئمة المسلمين وخلفاءهم؟ وهل اجتمعت الأمة على هؤلاء ثم لا تجتمع أو هل كان اجتماع الأمة على هؤلاء بالكلية؟ يجيب على هذه التساؤلات الحافظ ابن حجر ناقلاً قول القاضي عياض فقال: ويلخص القاضي عياض فيقول: يتوجه على العدد المعين سؤالان، أولا: ظاهر قوله في حديث سفينة أي" خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء أو ملكه من يشاء"[٥]، لكون ثلاثين سنة لم يكن فيها إلا الخلفاء الراشدين وأيام سيدنا الحسن بن علي، ثانيا: أن ولاية الخلافة كانت أكثر من هذا العدد، فيجاب عن الأول أنه أراد في حديث سفينة (خلافة النبوة) ولم يقيد في حديث جابر ذلك، وعن الثاني

---

(١) من عقائد السنة وعقائد الشيعة، لصالح الوردايي، ص:١١٦

(٢) منهاج السنة لابن تيمية، ١٣٨/١.

(٣) البخاري، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف، برقم: 7222 .

(٤) فتح الباري لأبن حجر العسقلاني، التحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ومحب الدين الخطيب، الإشراف على ط: محب الدين الخطيب، دار النشر: دار المعرفة، بيروت لبنان، كتاب الأحكام، باب: الاستخلاف، ٢١٢/١٣.

(٥) سنن أبي داؤد، كتاب السنة، باب في الخلفاء، برقم: ٤٦٤٦.

أنه لم يقل (لا يلي إلا اثنا عشر) بل قال (يكون اثنا عشر) فقد ولي هذا العدد، ولا يمنع ذلك الزيادة عليهم، ثم قال: وهذا إن أردنا وقوع اللفظ على الولي، وإلا فيطلق على أن يكون المراد من يستحق الخلافة من أئمة العدل والإنصاف، وقد مر منهم الخلفاء الأربعة، فلا بد من إتمام هذا العدد قبل طلوع الشمس من مغربها(١).

ثم يقول ابن حجر في تحديد الأئمة الاثني عشر: فالأولى أن يراد بقوله (يكون بعدي إثنا عشر خليفة) على حقيقة العدد بعد زمنه صلوات ربي وسلامه عليه، فإن مجموع من تولى الخلافة من الخليفة الأول إلى عمر بن عبدالعزيز أربعة عشر شخصا، منهم اثنان لم تمدّ خلافتهما ولم تصح يعني معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم، والباقي الإثنا عشر شخصا على الولاء كما أخبر الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه، وكانت وفاة عمر بن عبدالعزيز سنة إحدى ومائة، فتغيرت الأوضاع بوفاته، فكانت المعاملات في زمن الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير وبعد استشهاده منتظمة، وإن حصل في بعض مدتهم اختلاف ذلك، وهذا إلى الاستقامة نادر، والله أعلم(٢).

وقال ابن تيمية في هذا الصدد كلاماً مفيداً، فقال: إن الخلفاء أبو بكر وابن الخطاب وذي النورين وحيدر، ثم ولي من اجتمع عليه الناس، فصارت له منعة وعزة وأمر معاوية وابنه، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة وبينهم عمر بن عبدالعزيز وبعد ذلك حصل في دولة الإسلام من الذل والهوان ما هو باق إلى الآن(٣).

وهل الأئمة مختصة في أولاد علي رضي الله عنه: وكما أن عقيدة الشيعة أن الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها فيقول ابن تيمية في ذلك: إن كان الخلفاء مختصين ومتميزين في أولاد علي وفيه لأتى بما يميز به من الألفاظ والكلمات، ولو كان كذلك لأتى ما يدل على ذلك ألا نرى أنه لم يحدد في ولد إسماعيل ولا في العرب، لأنه قصد القبيلة المتميزة، فلو امتازوا بكونهم من ولد هاشم، أو من قبل علي، لأتى بيان ذلك على لسان خير الخلق صلوات ربي وسلامه عليه، وبما أنه جعل من قريش مطلقا، ولم يخصص بقبيلة، فيكونون من بني تيم وبني عدي وبني عبد شمس وبني هاشم، فالخلفاء الراشدون من هذه القبائل(٤).

---

(١) فتح الباري، ٢١٢/١٣.

(٢) فتح الباري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف ٢١٥/١٣

(٣) منهاج السنة، ١٧٠/٨.

(٤) بتصرف: المرجع السابق، ٢٠٦/٤.

ويؤيّد هذا القولَ المصدرُ الشيعي كذلك، فجاء في نهج البلاغة: لا بد من الأمير البر أو الفاجر للناس، يحارب به العدو، وتأمن السبل[١].

فالأئمة الاثنا عشر وفق قول الإمام ابن تيمية[٢]، وهؤلاء:

١- سيدنا أبو بكر الصديق، مدة خلافته (11 -١٣)هـ.

٢- سيدنا عمر بن الخطاب، مدة خلافته (١٣- ٢٣)هـ.

٣- سيدنا عثمان بن عفان، مدة خلافته (٢٤-٣٥)هـ.

٤- سيدنا علي بن أبي طالب، مدة خلافته (٣٥-٤٠)هـ.

٥- معاوية بن أبي سفيان، مدة خلافته (٤١- ٦٠)هـ.

٦- يزيد بن معاوية، مدة خلافته (٦٠- ٦٣)هـ.

٧- عبد الملك بن مروان، مدة خلافته (٦٥- ٨٥)هـ.

٨- الوليد بن عبد الملك، مدة خلافته (٨٥- ٩٦)هـ.

٩- سليمان بن عبد الملك، مدة خلافته (٩٦- ٩٨)هـ.

١٠- عمر بن عبد العزيز، مدة خلافته (٩٨- ١٠١)هـ.

١١- يزيد بن عبد الملك، مدة خلافته (١٠١- ١٠٥)هـ.

١٢- هشام بن عبد الملك، مدة خلافته (١٠٥- ١٢٥)هـ.

فهؤلاء هم الخلفاء المعنون في الحديث، وهذا هو المراد في الأحاديث قطع النظر عن أحوال بعض متأخريهم الذاتية، ومجمل الأقوال أنهم لا يحصرون في أولاد شخص معين أو قبيلة معينة، وأيضا لا يراد به أنهم لا يتجاوزون عن هذا العدد، والله أعلم.

الأئمة الاثني عشر عند الشيعة: تعتبر الإمامة لدى الشيعة أساسا من أساس الدين، وهذا الأساس هو الذي يميزهم عن أهل السنة والجماعة والفرق الأخرى، ولسبب تأسيسهم على أمر الإمامة فإنهم وصفوا بالشيعة الإمامية، يعني الذين يعتقدون في إمامة الاثني عشر بعد النبي صلوات ربي وسلامه عليه، فالشيعة لما تبنت هذه القضية قضية الإمامة فاستنادهم في ذلك حجج وبراهين شرعية من القرآن والحديث إضافة

(١) نهج البلاغة، المنسوب لعلي بن أبي طالب، التحقيق: صبحي الصالح، الناشر: دار الكتاب اللبناني، ط: ١٣٨٧هـ، ٨٢.

(٢) منهاج السنة، ١٧٨/٨.

إلى دلائل عقلية، كما أن هذه الأدلة القرآنية والحديثية معتبرة عند أهل السنة والجماعة كذلك، ولكن في الفهم والاستدلال اختلاف بينهما.

ويلخص محمد رضا مظفر عقيدةَ الشيعة قائلاً: إن عقيدة الإمامة أصل من الدين الشيعي، ولا يكتمل الإيمان إلا بالاعتقاد بها، والإمامة كالنبوة لطف وكرم من الله عزوجل، وعلى ذلك يلزم في كل زمان أن يكون إمام يرشد الناس ويكون خليفة للنبي صلوات ربي وسلامه عليه في مهامه الإرشادية والإصلاح والإسعاد في النشأتين، فللإمامة ما للنبي صلوات ربي وسلامه عليه من الولاية العامة على الخلق لإدارة الشؤون والمصالح، ولإقامة الحد بين العباد، كما أنها استمرار للنبوة، والبراهين التي توجب بعث الرسل والأنبياء هي نفسها توجب نصب الإمامة كذلك(١).

وقد عدّ صاحب الكافي عقيدة الإمامة من أركان الإسلام، فقال: "الإمامة عند الشيعة أحد أركان الإسلام الخمسة، فهم يعتقدون أنه بناء الإسلام على خمس: الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم يهتم بشيء كما اهتم بالإمامة"(٢).

بل أجمعت الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بأنه من أنكر إمامة واحد من أئمتهم فإنه جحد ما فرض الله عز وجل عليه من وجوب الطاعة، فهذا كافر ضال يستحق للخلود في جهنم[٣].

فالخلافة عند الشيعة أمر إلهي واستمرار لحصول أهداف النبي الخاتم صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، والإمام له نفس المسؤولية الذي عند نبيه المرتضى عليه الصلاة والسلام والفرق أنه ليس بنبي ولا ينزل إليه وحي، وسلسلة النبوة ختمت بالرسول فلا نبي بعده ولا رسول، ولكن الوظائف كلها مستمرة، ولذلك من الضروري أن يكون الإمام قائماً بمسؤوليته الروحية والمادية والعلمية والاجتماعية كي لا ينقطع سلسلة أمورهم أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الأمة وغيرها بوفاة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو معصوم عصمة مطلقة من الصغائر والكبائر.

ولقد اتفق جميع فرق أهل التشيع على تعيين الأئمة الاثني عشر، وأسماء الأئمة الاثني عشر، هم:

١- الإمام علي بن أبي طالب، مدة إمامته (٢٣-٤٠)هـ.

٢- الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، مدة إمامته (٤١-٥٠)هـ.

---

(١) عقائد الإمامية، لمحمد رضا المظفر، الناشر: مؤسسة الإمام الحسين، بيروت، لبنان، ط: الطبعة التاسعة ١٩٩٠م، ٨٧.

(٢) أصول الكافي، ١٨/٢.

(٣) بحار الأنوار، ٣٦٦/٨.

٣- الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، مدة إمامته (٥١-٦١)هـ.

٤- الإمام علي بن الحسين زين العابدين، مدة إمامته (٦٢-٩٥)هـ.

٥- الإمام محمد الباقر، مدة إمامته (٩٦-١١٤)هـ.

٦- الإمام جعفر الصادق، مدة إمامته (١١٥-١٤٨)هـ.

٧- الإمام موسى بن جعفر الكاظم، مدة إمامته (١٤٩-١٨٣)هـ.

٨- الإمام علي بن موسى الرضا، مدة إمامته (١٨٤-٢٠٣)هـ.

٩- الإمام محمد بن علي الجواد، مدة إمامته ١٧ سنة (٢٠٤-٢٢٠)هـ.

١٠- الإمام علي بن محمد الهادي، مدة إمامته (٢٢١-٢٥٤)هـ.

١١- الإمام الحسن بن علي العسكري، مدة إمامته (٢٥٥-٢٦٠)هـ.

١٢- الإمام محمد بن الحسن (٢٦١هـ- إلى يومنا هذا)[١].

هل يعقل أن تكون الإمامة في عدد معين؟: حصر الأئمة في عدد معين لا يتمشي مع واقع حياة الإنسان، كيف يكون من يهتم بأمور دينهم ودنياهم في عدد معين إلى قيام الساعة، يعلق الدكتور ناصر القفازي على حصر الأئمة في عدد معين قائلاً: إن قضية حصر عدد الأئمة بعدد محدد لا يقبلها العقل الإنساني والمنطق الواقعي، وبعد انتهاء ذلك العدد المعين فهل تبقى الأمة الإسلامية بلا إمام ولا مرشد؟ وعلى ذلك فإن زمن الأئمة الظاهرين عند القوم لا يتجاوز قرنين ونصف إلا قليلا[٢].

وهل اتفقت فرق الشيعة كلها على حصر الأئمة في عدد الاثني عشر؟: إذا تقرّر أن حصر الأئمة في عدد معين لا يثبته العقل السليم، وقد اعترفت بذلك الشيعة بنفسها، فقد اضطروا للخروج عن هذا الحصر بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام العام، كما اختلفت أقوالهم في تحديد النيابة[٣].

قال صاحب التحفة: فاعلم الذين يعتقدون بتحديد الأئمة هم الإمامية، ولكن القوم مختلفون في مقدارهم، فيقول بعضهم: ٥، وقول غيرهم: ٧، ورأي بعضهم: ٨، وبعضهم: ١٢، وغيرهم: ١٣[٤].

---

(١) أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم لشيخ جعفر السبحاني، ص: ١١٣

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ٦٧١.

(٣) الخميني والحكومة الإسلامية، محمد جواد مغية، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: الطبعة الأولى ١٩٧٩م، ٦٨.

(٤) مختصر التحفة، ١٩٣.

ويعلّق الدكتور في ذلك قائلاً: فآراؤهم في ذلك كثيرة، وأعتقد لو أردت نقل وجهاتهم في ذلك من كتب فرقهم لتوقف القارئ عن القراءة مللا لكثرته التي يسير على نمط واحد، إذ تنشأ فرق بعد وفات كل إمام[١].

وأكتفي بذكر رواية، روى الكليني عن أبي جعفر، قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: (إني واثني عشر من ولدي وأنت يا علي زرّ الأرض فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا)[٢].

هذا نص صريح على زيادة عدد الأئمة على الاثني عشر، فهم الاثنا عشر سوى علي رضي الله عنه، وعن أبي جعفر عن سيدنا جابر رضي الله عنه قال: "دخلت على فاطمة وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء وولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي"[٣].

ثم في هذا العصر خرجوا نهائياً عن مبدئهم وقاعدتهم _حصر الأئمة_ نهائياً، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب، وقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي[٤].

٤. عقيدة أهل السنة والشيعة في الإمام المهدي المنتظر

وفي الأخير بالاختصار أود أن أذكر من الفكر الشائع بين أهل السنة والجماعة وبين الشيعة عن عقيدة المهدي المنتظر، فتوجد روايات صريحة عند الفريقين في هذا الباب.

عقيدة أهل السنة في المهدي المنتظر: عند أهل السنة والجماعة أنه رجل صالح زاهد، وهو سيصبح إمام المسلمين، ويملأ الأرض بالعدل، وهو من أولاد سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، لوجود الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك، ومنها:

(أ) عن النبي صلوات ربي وسلامه عليه: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجلاً مني، أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبي)[٥].

(ب) أن الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه يقول: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة)[٦].

---

(١) أصول مذهب الشيعة الاثني عشر، ٦٦٦.

(٢) أصول الكافي، ٥٣٤/١.

(٣) المرجع السابق، ٥٣٢/١.

(٤) الحكومة الإسلامية، روح الله الخميني، الناشر: وزارة الإرشاد بجمهورية إيران، ٤٨.

(٥) أبو داود، كتاب المهدي، برقم ٤٢٨٢.

(٦) المرجع السابق، كتاب المهدي، برقم: ٤٢٨٤.

(ج) وفي رواية الترمذي: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)[١].

(د) أن رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه قال: (ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا المهدي إلا عيسى بن مريم)[٢].

(هـ) أن النبي صلوات ربي وسلامه عليه قال: (يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع وإلا فتسع .... فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ)[٣].

فهذه النصوص تدل على إتيان رجل صالح ويكون اسمه المهدي، وأنه سيملأ الأرض عدلاً وإنصافاً.

عقيدة الشيعة في المهدي المنتظر: عندهم أنه إمام منتظر موجود غائب فلا يعرف عين ولا أثر، ولا يعلم بحس ولا خبر، لا يتم الإيمان إلا به، وهو آخر الإمام (الثاني عشر)[٤].

وانتهى قولهم بأن قالوا إن إمامهم الحادي عشر الإمام الحسن العسكري قد ولد له مولود، يقال محمد بن الحسن فهو إمامهم الثاني عشر، وهذا المولود قد ولج في كهف السرداب في دار والده بمدينة وعمره آنذاك ٥ سنين، وقد كانت غيبوبته اثنتان: الغيبوبة الصغرى والغيبوبة الكبرى، فالغيبوبة الصغرى يعصد بها التي كانت السفارة الواسطة فيها بينه وبين شيعتهم، ولا يدري مكانه إلا خواص الشيعة، ومدتها كانت ٧٤ سنة على خلاف فيما بينهم في تعيين هذه الغيبوبة.

وأما الغيبوبة الكبرى: فكانت التي فيها هذا الإمام أي محمد بن الحسن عن سقرائهم وخواصهم من الشيعة بدخوله الكهف (السرداب) في بيت أبيه، ولأجل ذلك فإن القوم يجتمعون يجتمعو كل ليلة بعد صلاة المغرب أمام باب الكهف، وينادون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم[٥].

الخاتمة

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تدرك المنيات، من خلال البحث حول الأئمة الاثني شر عند أهل السنة والجماعة والشيعة، لقد توصلت إلى النتائج الآتية:

- أن أهل السنة والشيعة حزبان مختلفان في معظم عقائدهما في الإسلام.

---

(١) الترمذي، ما جاء في المهدي، قال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) ابن ماجة، كتاب باب شدة الزمان، برقم:

(٣) ابن ماجة، كتاب باب برقم: ٢٠٠٩

(٤) موقف ابن تيمية عن الروافض، ص: ٣٩٨

(٥) الشيخ ممدوح الحربي، مجمل عقائد الشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة، الناشر: مكتبة عباد الرحمن، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، ٧٣.

- أن الإمامة مهمة عظمى ومسؤولية كبرى في الإسلام.
- أن النصوص صريحة وصحيحة توجد عند الفريقين في باب الأئمة الاثني عشر.
- أن شرح أهل السنة لهذا العدد يخالف شرح الشيعة تماماً.
- أن أهل السنة يعنون بالاثني عشر المتفق عليهم أو المجمع عليهم أو العادلون على أقوال.
- أما الشيعة يعنون بهذا العدد أشخاص مخصوصون من المسلمين.
- عقيدة أهل السنة أن الأئمة المعنون في الحديث لا يراد به إلا الخلفاء وأيضاً لا يراد به أن الخلفاء لا يتجاوزون عن هذا العدد.
- عقيدة أهل السنة أن الأئمة لا تحصر في فئة معينة بل أقصى ما يقال أنهم كلهم من قريش للنص.
- عقيدة الشيعة في ذلك أنهم محصورون في ذرية سيدة فاطمة رضوان الله عليها بنت سيدنا رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه فحسب.
- عقيدة الشيعة أن المراد بالاثني عشر هم المحصورون في العدد وهذا شبه إجماع عندهم، ولكن خالف في ذلك بعض العلماء منهم، فزادوا في العدد أو نقصوا.
- أن عقيدة الاثني عشر إماماً قد نشات في القرن الثاني من الهجرة.
- أن عقيدة المهدي المنتظر لها أساس عند الفريقين رغم اختلاف المراد.
- عقيدة أهل السنة في المهدي أنه رجل صالح من آل البيت، سوف يولد ويملأ الأرض عدلاً.
- أما عقيدة الشيعة في المهدي أنه وُلد، وقد دخل في السرداب، وقد تضاربت أقوالهم فيه.

وصلى الله على خير الأبرار وآله الأطهار وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الدين.